

القادة الأبرار

الإمام الحسن بن علي (ع)



الإمام الحسن بن علي



القادة الأبرار

الإمام الحسن بن علي^(ع)

الدار الإسلامية

حقوق الطبع والنشر محفوظة
الطبعة الثانية
١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م



كورنيش المزرعة / بناية الحسن سنتر / الطابق الثاني
هاتف ٨١٦٦٢٧ / ص . ب : ١٤٥٦٨ تلکس ٢٣٢١٢ - غدیر
فرع ثاني / حارة حريك مفرق الحلباوي / هاتف ٨٣٥٦٧٠

القَادَةُ الأَبْرَارُ

الإمامُ الحسنُ بنُ عليٍّ (ع)

الإمامُ الحَسَنُ (ع) :	الاسم
الإمامُ عَلِيٍّ (ع) :	اسم الأب
فاطمةُ الزَّهراءُ (ع) :	اسم الأم
١٥ رمضان السَّنةُ الثَّالثةُ للهجرةٍ :	تاريخُ الولادة
المدينةُ :	محلُ الولادة
٢٨ صفر سنة ٥٠ للهجرة :	تاريخُ الاستِشهادِ
المدينةُ :	محلُ الاستِشهادِ
المدينةُ (البقيع) :	محلُ الدَّفْنِ

بِاسْمِهِ تَعَالَى

الجاهلية والإسلام

كَانَتْ الْأُمُورُ فِي الْعَصْرِ الْجَاهِلِيِّ تَأْخُذُ طَائِعَ
الْجَاهِلِيَّةِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، فَمَنْ كَانَ الْأَقْدَرُ عَلَى الظُّلْمِ
وَالْجَبْرُوتِ؛ وَكَانَ أَطْوَلَ بَاعًا فِي الْمَكْرِ وَالْخِدَاعِ؛
كَانَتْ لَهُ السَّيْطَرَةُ الْكَامِلَةُ، وَتَمَتَّعَ بِالْاِحْتِرَامِ
وَالْإِجْلَالِ، مَخَافَةَ ظُلْمِهِ وَبَطْشِهِ..

وَكَانَتْ قِيَادَةُ مَكَّةَ وَالْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْعَصْرِ
الْجَاهِلِيِّ، مَعْقُودَةٌ لِلْوَاءِ لِأَبِي سُفْيَانَ وَعَائِلَتِهِ بَنِي أُمَيَّةَ.
فَمُعَاوِيَةُ وَأَخُوهُ يَزِيدُ الْأَوَّلُ، وَأَبُو جَهْلٍ وَأَبُو لَهَبٍ،
وغيرهم من أعوانهم؛ كانوا القائمين على الأمور، في
مَكَّةَ وَفِي غَيْرِهَا مِنَ الْأَرْضِ الْعَرَبِيَّةِ.

وَبَعْدَ أَنْ ظَهَرَ الْإِسْلَامُ بِنُورِهِ، وَانْحَسَرَتْ الْجَاهِلِيَّةُ
بِظُلُمَاتِهَا، انْقَلَبَ كُلُّ شَيْءٍ، فَتَبَدَّلَتِ الْقِيَمُ وَالْمَقَامَاتُ
وَأُضْحِيَ عَلَيْهَا سَافِلُهَا، فَارْتَفَعَ وَعَلَا مَنْ كَانَ
مُتَوَاضِعًا، وَانْحَدَرَ وَذَلَّ مَنْ كَانَ مُتَعَالِيًا، وَتَبَدَّلَ
الْمَفَاهِيمُ تَبَدَّلَتْ مَرَاتِبُ النَّاسِ، فَسَقَطَ الْأَعْيَانُ

وَالْكِبْرَاءُ وَطَوَاهُمُ النَّسِيَانُ، بَيْنَمَا ارْتَفَعَ وَسَمَا كُلُّ مَا هُوَ
إِنْسَانِيٌّ، وَغَدَا مَوْضِعَ اعْتِبَارٍ وَتَقْدِيرٍ، وَهَكَذَا فَقَدْ تَسَنَّمَ
الرَّسُولُ (ص) وَأَهْلُهُ وَأَصْحَابُهُ الصَّالِحُونَ أَعْلَى
مَقَامٍ ..

بَعْدَ هَذَا الانْقِلَابِ الْكَبِيرِ؛ وَبَعْدَ ظَفَرِ حِزْبِ اللَّهِ
وَأَهْلِ الْإِيمَانِ، وَانْكِسَارِ شَوْكَةِ حِزْبِ الْجَاهِلِيَّةِ
وَالشَّرِكِ؛ اضْطُرَّ أَبُو سُفْيَانَ وَمَعَهُ بَنُو أُمَيَّةَ إِلَى التَّسْلِيمِ
وَالْقَبُولِ بِقِيَادَةِ رَسُولِ اللَّهِ (ص)، وَذَلِكَ بَعْدَ فَتْحِ
مَكَّةَ. لَكِنَّ الْقُلُوبَ السُّودَاءَ بَقِيَتْ عَلَى سَوَادِهَا، كَمَا
بَقِيَتْ عَلَى حَالِهَا عَدَاوَتُهُمُ الرَّاسِخَةَ لِلرَّسُولِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ
وَالْمُؤْمِنِينَ.

بَعْدَ الرَّسُولِ ..

وَبَعْدَ أَنْ أَغْمَضَ الرَّسُولُ (ص) عَيْنَيْهِ، وَارْتَحَلَ
عَنْ هَذَا الْعَالَمِ، بَقِيَ أَبُو سُفْيَانَ وَمَعَهُ حِزْبُ الْكُفْرِ
وَالنِّفَاقِ عَلَى هُدُوءِهِمْ، فَنِفَاقُهُمْ كَانَ فِي مَأْمَنٍ مِنَ
الْإِفْتِضَاحِ، وَكَانَ كُلُّ هَمِّهِمْ أَلَّا تَقَعَ أَسْبَابُ الْقُدْرَةِ
الْمَالِيَّةِ وَالْقُدْرَةِ السِّيَاسِيَّةِ بَيْنَ أَيْدِي أَهْلِ الْبَيْتِ، وَكَانُوا
يَسْعَوْنَ أَنْ تَبْقَى هَذِهِ الْقُدْرَاتُ حِكْرًا عَلَى غَيْرِهِمْ،



وَنَجَحَ مَسَاعُهُمْ ذَاكَ؛ وَمِنْ هَذَا الْقَبِيلِ اسْتَأْثَرَ مُعَاوِيَةُ
 بِالْهَيْمَنَةِ عَلَى دِمَشْقَ وَحِمَصَ وَفِلَسْطِينَ وَالْأُرْدُنَّ،
 وَجَمَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ أَسْبَابَ الثَّرْوَةِ وَالْقُوَّةِ، وَغَدَا مَشْهُورًا
 فِي كَافَّةِ أَنْحَاءِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ. وَبَعْدَ مَقْتَلِ عُثْمَانَ،
 وَمُبَايَعَةِ عَلِيِّ صَهِرِ الرَّسُولِ وَابْنِ عَمِّهِ، وَأَبِي الْإِمَامَيْنِ
 الْحَسَنِينِ بِالْخِلَافَةِ، قَامَ الْمُنَافِقُونَ وَأَهْلُ الْبَاطِلِ،
 يَرْفَعُونَ لَوَاءَ الْعِدَاءِ وَرَايَةَ الْخِلَافِ مِنْ جَدِيدٍ، وَشَهَرُوا
 سُيُوفَهُمْ فِي وَجْهِ الْإِمَامِ (ع)، فِي حُرُوبِ الْجَمَلِ
 وَصِفِّينَ وَالنَّهْرَوَانِ، وَكَانَتْ مُنَاسِبَاتٍ جَمَعَتْ أَعْدَاءَ
 الْإِسْلَامِ وَأَهْلَ الْبَاطِلِ، وَوَرَثَةَ الْجَاهِلِيَّةِ، إِلَى جَانِبِ
 مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ.

وَبَيْنَ مَدٍّ وَجَزَرٍ فِي الْقِتَالِ، وَأَخْذٍ وَرَدٍّ فِي الْجِدَالِ
 بَيْنَ عَلِيٍّ (ع) وَمُعَاوِيَةَ، اجْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْأَغْيَاءِ، الَّذِينَ
 أَوْهَمَهُمْ غُرُورُهُمْ بِأَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَى عِلَاجِ مَا يَشْكُو
 مِنْهُ النَّاسُ، وَإِصْلَاحِ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ، وَقَرَّرُوا أَنَّ عِلَّةَ
 مَا يُعَانِي مِنْهُ الْمُسْلِمُونَ تَعُودُ إِلَى ثَلَاثِي خَطَرٍ، هُوَ
 مُعَاوِيَةُ وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَعَلِيٌّ، وَأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ حَلِّ
 يَضْمَنُ الْخَلَاصَ لِلْمُسْلِمِينَ سِوَى الْقَضَاءِ عَلَى ذَلِكَ
 الثَّلَاثِي دَفْعَةً وَاحِدَةً. وَنَتِيجَةً لَتَفْكِيرِهِمُ السَّقِيمِ



اسْتُشْهِدَ الْإِمَامُ (ع) ذَلِكَ الْقَائِدُ الْوَرَعُ الْعَادِلُ، بَيْنَمَا
فُتِحَ الطَّرِيقُ وَاسِعاً أَمَامَ الْآخَرَيْنِ ..

عهدُ الحسنِ

في ذلك العهد، حينَ كانتْ قِيَادَةُ النَّاسِ وإِدَارَةُ
الأَعْمَالِ بيدِ أعوانِ مُعَاوِيَةَ، تَسَلَّمَ الْإِمَامُ الْحَسَنُ (ع)
الْخِلَافَةَ. وَكَانَ عَلَيْهِ أَنْ يُوَاجِهَ أَسْوَأَ الْقَادَةِ الَّذِينَ كَانُوا
قَدْ تَسَلَّمُوا مَنَاصِبَهُمْ فِي ذَلِكَ الْحِينِ، وَجُلُّهُمْ مِنْ بَنِي
أُمَيَّةَ، وَقَدْ كَانُوا مِنْ سِنَوَاتٍ طَوِيلَةٍ فِي انْتِظَارِ هَذِهِ
الْمَنَاصِبِ. لِيَخْضُمُوا مَالَ اللَّهِ خَضْمَ الْإِبْلِ نَبْتَةَ
الرَّبِيعِ ..

كَانَتْ خِلَافَةُ الْإِمَامِ الْحَسَنِ (ع) فِي ذَاكَ الْعَهْدِ،
تُغَطِّي أَقْسَاماً وَاسِعَةً مِنَ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ، تَشْمَلُ
فَارِسَ وَخُرَاسَانَ، وَالْيَمَنَ وَالْحِجَازَ، وَالْكُوفَةَ وَالْعِرَاقَ.
وكَانَتْ مَنَاطِقَ يَسْوُدُهَا الْقَلْقُ وَالْاضْطِرَابُ، رَغْمَ أَنَّ
أَهْلَهَا يَدِينُونَ لَهُ بِالطَّاعَةِ.

أَدْرَكَ الْإِمَامُ مِنْذُ الْآيَامِ الْأُولَى لِخِلَافَتِهِ أَنَّ مُعَاوِيَةَ
يُضْمِرُ لَهُ السُّوءَ وَيَسْتَعِدُّ لِحَرْبِهِ. فَبَعَثَ بِعَدَدٍ مِنْ رُسُلِهِ
إِلَى حُكَّامِ الْمُدُنِ وَالْوِلَايَاتِ، يَطْلُبُ مِنْهُمْ الْإِسْتِعْدَادَ

والتأهب للقتال ، كما أرسل إلى معاوية كتاباً يلقي عليه فيه الحجة ، وينصحه ويبصّره بعواقب أعماله . ويبيّن فيه حقه وجدارته بالخلافة . وأنّ الحرص على الإسلام ووحدّة المسلمين يقتضي البعد عن الحرب والخصام ، ويدعّوه إلى أن يستجيب لداوعي العقل وفروض الطاعة ، وألاّ تأخذ العزّة بالإثم ، فيورد نفسه موارد الهلاك ، ويورد الأمة الإسلامية موارد الفتنه والخلاف ، ثمّ يتوعّده أخيراً بالقتال إن لم يستجب ، حتى يحكم الله بينهما .

ولكن . . أين معاوية من هذه النصائح ؟! فالرجل لا يتطلّع إلّا إلى الحكم والرئاسة ، ولا يتردّد في سبيل الوصول إليهما - من الإقدام على أيّ عمل ، مهما كان عمله باطلاً وبعيداً عن الحق . وبدلاً من أن يستجيب لنصائح الإمام ، فقد أرسل جواسيسه - خفية - إلى الولاة والقادة - يمينهم بالأموال والعطايا ، والجاه والمناصب ، إن هم ابتعدوا عن الإمام ووقفوا إلى جانبه هو .

قبل الكثيرون من أعيان تلك الأيام عروض معاوية وإغراءاته ، ونقضوا عهودهم مع الإمام



الشَّرْعِيَّ ، وَاَنْضَمَّ بَعْضُهُمْ عَلَنًا إِلَى مُعْسَكِرِ مُعَاوِيَةَ ،
 كَمَا عَرَضَ عَلَيْهِ بَعْضُهُم الْآخَرُ أَنْ يُلْقُوا الْقَبْضَ عَلَى
 الْإِمَامِ وَيُرْسِلُوهُ إِلَيْهِ أَسِيرًا ! لَكِنَّ مُعَاوِيَةَ الدَّاهِيَةَ
 الْمُخَادَعُ ، طَلَبَ إِلَيْهِمْ أَنْ يَبْقُوا كَمَا هُمْ عَلَيْهِ ، حَتَّى إِذَا
 انْدَلَعَ الْقِتَالُ ، انْقَلَبُوا عَلَى الْإِمَامِ وَخَذَلُوهُ .

وَمَضَتْ شُهُورٌ . . اشْتَرَى مُعَاوِيَةُ خِلَالَهَا بِأَمْوَالِهِ
 وَهَدَايَاهُ كَثِيرًا مِنْ زُعَمَاءِ الْقَبَائِلِ ، مِمَّنْ اعْتَادَ عَلَى
 قَبُولِ الْأَمْوَالِ وَالرِّشَاوِي ، وَمِمَّنْ هُوَ عَلَى اسْتِعْدَادٍ
 لِبَيْعِ نَفْسِهِ وَدِينِهِ وَضَمِيرِهِ بِشَمْنٍ بَخْسٍ . لَقَدْ أَدْرَكَ
 أُولَئِكَ الزُّعَمَاءُ أَنَّ طَرِيقَ الْإِمَامِ هُوَ طَرِيقُ أَبِيهِ أَمِيرِ
 الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، وَأَنَّ الطَّرِيقَ الْآخَرَ هُوَ طَرِيقُ
 الْمَغَانِمِ وَالْكَسْبِ الْوَفِيرِ ، فَاخْتَارُوهُ ، وَبَاعُوا دِينَهُمْ
 بِدُنْيَاهُمْ ، وَبِابْخَسِ الْأَثْمَانِ !!

الخيارُ بين الدين والدُّنيا

تَحَرَّكَ مُعَاوِيَةُ بِجَيْشٍ كَبِيرٍ نَحْوَ الْكُوفَةِ مَعْقِلِ
 الْإِمَامِ (ع) . وَكَانَ الْإِمَامُ يَسْعَى بِدَوْرِهِ لِدَفْعِ الْكُوفَةِ
 إِلَى الْجِهَادِ ، وَيَلْقَى فِي سَعْيِهِ الْعَنَاءَ وَالتَّعَبَ ، لِأَنَّ
 الْقَلِيلِينَ كَانُوا عَلَى اسْتِعْدَادٍ لَذَلِكَ ، وَكَانُوا فِرْقًا لِكُلِّ

منهم رأيٌ مُختلفٌ، وإنَّ جيشاً يجري تجميعه من مثل هؤلاء، لهو جيش عاجز عن خوض حربٍ جديَّةٍ وجهادٍ صادقٍ.

عَيْنَ الإمام (ع) ابنَ عمِّه عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ لِقِيَادَةِ جيشه، ونحنُ نعلمُ أنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ هُوَ مِنْ قُرَيْشٍ، يَعْرِفُهُ جَمِيعُ قَادَةِ الْجَيْشِ وَزَعَمَاءِ الْقَبَائِلِ وَيَحْتَرُمُونَهُ وَيُطِيعُونَ أَوَامِرَهُ. وَكَانَ مِنْ أَوَائِلِ الَّذِينَ بَايَعُوا الْإِمَامَ الْحَسَنَ (ع)، بِالْإِضَافَةِ إِلَى أَنَّ قَلْبَهُ كَانَ يَطْفَحُ كُرْهًا وَعَدَاوَةً لِمُعَاوِيَةَ، الَّذِي قَتَلَ أَبْنَاءَهُ..

بَعَثَ الْإِمَامُ بِعُبَيْدِ اللَّهِ عَلَى رَأْسِ جَيْشٍ مِنْ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا نَحْوَ مُعَاوِيَةَ، بَيْنَمَا تَوَجَّهَ هُوَ بِجَيْشٍ كَبِيرٍ نَحْوَ الْمَدَائِنِ، وَأَقَامَ مُعَسَكَرَهُ هُنَاكَ؛ كَجُزءٍ مِنْ خُطَّةٍ لِلتَّغْلِبِ عَلَى جُيُوشِ مُعَاوِيَةَ الْجَرَّارَةِ..

لَمْ يَكُنْ مُعَاوِيَةُ قَدْ نَسِيَ مَرَارَةَ حَرْبِ صِفِّينَ، وَلَا تَزَالَ ذِكْرَى سَيْوَفِ أَصْحَابِ عَلِيٍّ (ع) تُصَيِّهُ بِالْأَرْتِجَافِ؛ لِذَا فَقَدْ صَمَّمَ عَلَى أَنْ يَتَوَسَّلَ الْحِيلَةَ وَالْخِدَاعَ فِي حَرْبِهِ هَذِهِ؛ فَأَرْسَلَ مُوفِداً إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ خَفِيَّةً، يَعْرضُ عَلَيْهِ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ (مِلْيُونِ دِرْهَمٍ)، إِنْ قَبِلَ أَنْ يَنْفُضَ يَدَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْحَرْبِ، عَلَى أَنْ يَدْفَعَ

لَهُ نِصْفَ الْمَبْلَغِ فِي مُعْسَكَرِهِ إِذَا أَتَى إِلَيْهِ، وَالنِّصْفَ
الْآخَرَ فِي الْكَوْفَةِ.

بَقِيَ عُبَيْدُ اللَّهِ أَيَّاماً وَهُوَ حَائِثٌ فِي أَمْرِهِ، فَهُوَ يَعْلَمُ
أَنَّ قَلَّةً مِنَ النَّاسِ قَدْ اسْتَجَابُوا لِدَعْوَةِ الْإِمَامِ، بَيْنَمَا
يَقُودُ مُعَاوِيَةُ جَيْشاً لَجِباً، وَتَصَوَّرَ أَنَّ جَيْشَ مُعَاوِيَةَ
سَيَنْتَصِرُ لَا مَحَالَةَ، فَلَمْ التَّرَدُّدُ؟! وَالْعَرَضُ فِيهِ إِغْرَاءٌ
كَبِيرٌ؟!

صَمَّمَ عُبَيْدُ اللَّهِ أَخيراً، وَاتَّخَذَ قَرَاراً مُلَوِّةَ الْخَجَلِ
وَالْعَارِ؛ وَفِي مُنْتَصَفِ تِلْكَ اللَّيْلَةِ. انْسَحَبَ مَعَ مَجْمُوعَةٍ
مِنْ أَعْيَانِ الْجَيْشِ وَقَادَتِهِ نَحْوَ مُعْسَكَرِ مُعَاوِيَةَ.. لَقَدْ
اخْتَارَ أَنْ يَبِيعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَإِمَامَهُ وَدِينَهُ بِشَمْنٍ رَخِيسٍ،
وَأَنْ يَفُوزَ بِوَضْعَةِ عَارٍ لَنْ تَفَارِقَهُ إِلَى الْأَبَدِ..

اجْتَمَعَ النَّاسُ لِصَلَاةِ الصُّبْحِ. وَانْتَظَرُوا عُبَيْدَ اللَّهِ
كَيْ يُؤْمِّهُمْ فِي الصَّلَاةِ، حَيْثُ مِنَ الْمُقَرَّرِ أَنْ يَنْطَلِقُوا
بَعْدَ الصَّلَاةِ إِلَى الْقِتَالِ. لَكِنْ انْتَظَرَهُمْ ذَهَبَ عَبَثاً،
فَعُبَيْدُ اللَّهِ لَمْ يَحْضُرْ إِلَى الصَّلَاةِ.. ثُمَّ عَرَفُوا الْحَقِيقَةَ إِذْ
سَمِعُوا مُنَادِياً مِنْ مُعْسَكَرِ أَهْلِ الشَّامِ يَقُولُ: أَيُّهَا
النَّاسُ؛ تَفَرَّقُوا وَعُودُوا إِلَى بُيُوتِكُمْ، فَإِنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ
وَأَنْصَارَهُ فِي مُعْسَكَرِ مُعَاوِيَةَ، وَقَدْ اخْتَارُوا الصُّلْحَ عَلَى



الحرب، فلا خيرَ في قتالِ الإخوة!!

كَانَ عُيْدُ اللَّهِ الرَّجُلَ الْأَوَّلَ بَعْدَ الْإِمَامِ فِي إِمْرَةِ الْجَيْشِ . وَكَانَتْ خِيَانَةُ هَذَا الرَّجُلِ «الْكَبِيرِ» وَهَذَا «الْفَقِيهِ» الْمَعْرُوفِ، بَاعِثًا عَلَى تَخَاذُلِ الْكَثِيرِينَ، كَمَا خُدِعَ آخَرُونَ بِدَعْوَةِ السَّلَامِ الْكَاذِبَةِ، وَشَرَعُوا يَتَفَرَّقُونَ كُلٌّ فِي اتِّجَاهٍ .

أَحْسَّ جَمَاعَةٌ مِنْ أَنْصَارِ الْإِمَامِ الْمُخْلِصِينَ بِالْخِدْعَةِ، وَحَاوَلُوا إِعَادَةَ الْمُتَخَاذِلِينَ وَلَمْ يَصْفُوفِ، لَكِنْ مُحَاوَلَتُهُمْ بَاءَتْ بِالْفَشْلِ . وَبَقِيَ قَلَّةٌ صَادِقَةٌ الْإِيمَانِ ثَابِتَةٌ فِي مَوْقِفِهَا، وَقَدْ نَذَرَ أَفْرَادُهَا أَنْفُسَهُمْ لِلْمَوْتِ فِي سَبِيلِ الْحَقِّ، وَأَرْسَلُوا إِلَى الْإِمَامِ يَطْلُبُونَ إِمْدَادَهُمْ بِالرُّجَالِ .

كَانَ الْفَارُوقُ وَالْمُتَخَاذِلُونَ يَتَّجِهُونَ نَحْوَ الْمَدَائِنِ، وَيَنْشُرُونَ فِي طَرِيقِهِمْ أَخْبَارًا كَاذِبَةً مُفَادِّهَا أَنَّ جَيْشَ مُعَاوِيَةَ قَدْ انْتَصَرَ عَلَى طَلِيعَةِ جَيْشِ الْإِمَامِ، وَغَدَتْ هَذِهِ الْأَنْبَاءُ عُذْرًا لِأُولَئِكَ الَّذِينَ خَرَجُوا مَعَ الْإِمَامِ رِيَاءً وَعَلَى كُرِهِ مِنْهُمْ، وَحُجَّةً تَذَرَعُوا بِهَا فِي تَخَاذُلِهِمْ وَعَوْدَتِهِمْ إِلَى الْكُوفَةِ . إِنَّ الْقِصَّةَ تَعِيدُ نَفْسَهَا، قِصَّةَ الْخَوَارِجِ مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (ع)، قِصَّةَ أُولَئِكَ الَّذِينَ



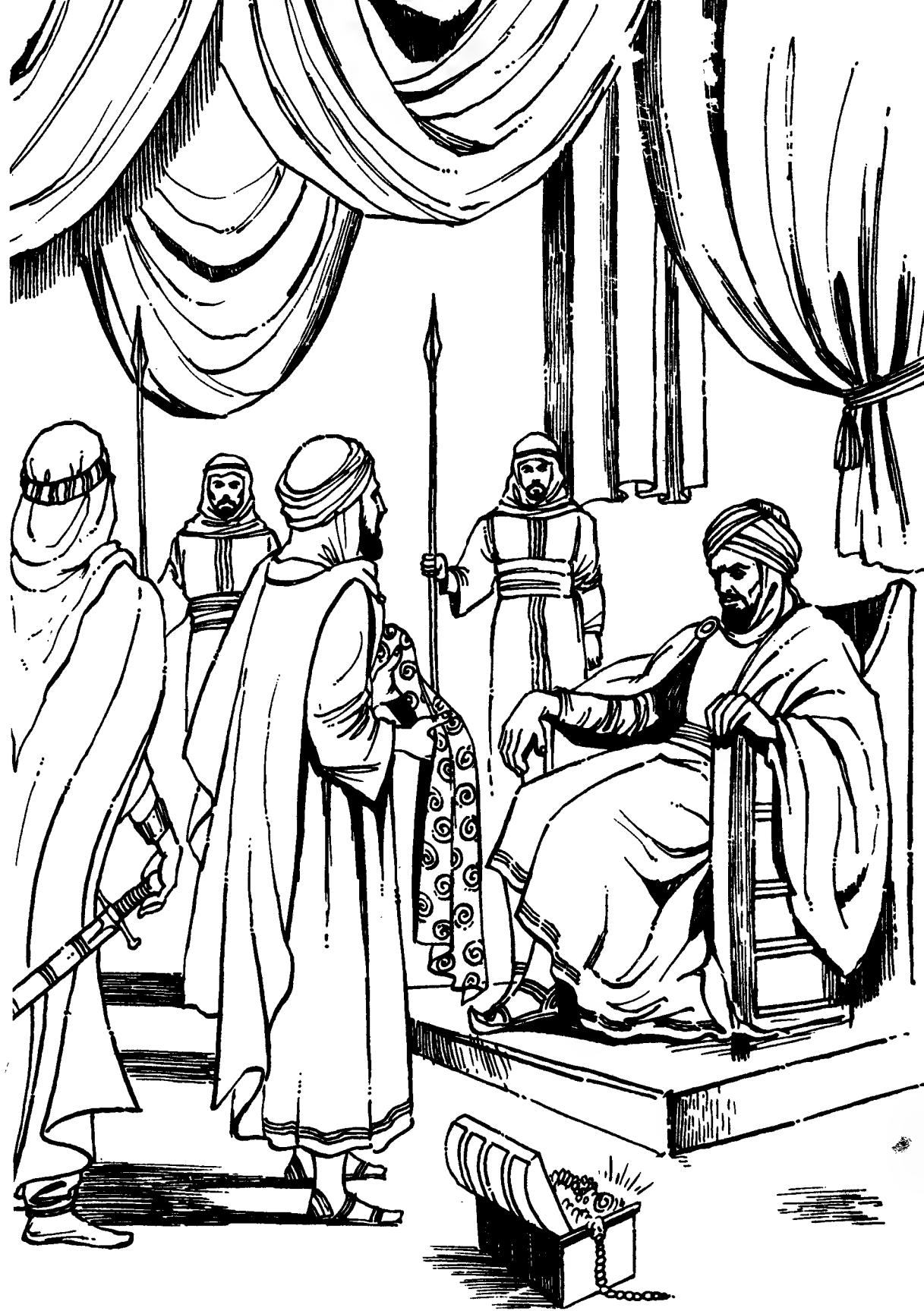
يَخْذُلُونَ إِمَامَ زَمَانِهِمْ، لَا بَلْ يَقْتُلُونَهُ، فَوَاعِجِبَا! يَدْعُونَ
أَنَّهُمْ حُمَاةُ الْإِسْلَامِ وَالْحَقُّ، ثُمَّ يَفْتَحُونَ الطَّرِيقَ وَاسِعاً
أَمَامَ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ وَالْحَقِّ!!

الْقِصَّةُ تُعِيدُ نَفْسَهَا الْيَوْمَ.. فِي صُورَةِ امْتِحَانٍ
كَبِيرٍ، يَتِمُّ فِيهِ الْفَرَزُ جَيِّداً، فَالْمُنَافِقُونَ ضِعَافُ النُّفُوسِ
عَادُوا أَذِلَّةً إِلَى بُيُوتِهِمْ، وَالْأَصْحَابُ الْأَوْفِيَاءُ الصَّادِقُونَ
ثَبَتُوا فِي مَوَاقِعِهِمْ أَبَاةً أَعَزَّةً، وَطَرِيقُ الشَّهَادَةِ أَمَامَهُمْ
وَاضِحٌ مُسْتَقِيمٌ لَا عِوَجَ فِيهِ.

الْخِيَارُ الصَّعْبُ

لَمْ يَبْقَ أَمَامَ الْإِمَامِ الْآنَ غَيْرُ طَرِيقَيْنِ لَا ثَالِثَ
لَهُمَا، فإِمَّا الْقِتَالُ وَالتَّضَحِّيَةُ بِأَوْلِيكَ الْأَوْفِيَاءِ
الْمَخْلَصِينَ، وَإِمَّا الرُّضُوحَ لَشُرُوطِ الصُّلْحِ، وَالصَّبْرَ
عَلَى الْأَلَمِ، طَرِيقُ صَعْبٌ.. لَكِنَّ فِيهِ خَلَاصاً لِأَوْلِيكَ
الْأَصْحَابِ الْبَرَّةِ مِنْ قَتْلِ لَا طَائِلَ تَحْتَهُ، وَاخْتَارَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ وَقَفَ الْقِتَالِ عَلَى شُرُوطٍ، اخْتَارَ بَقِيَّةً عَلَيَّ مَا
اخْتَارَهُ أَبُوهُ - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - قَبْلَ خَمْسٍ وَعَشْرِينَ
سَنَةً، وَنَفَضَ يَدَيْهِ - مُكْرَهاً - مِنْ الْاِحْتِكَامِ إِلَى
الْقِتَالِ.

كَانَ هَذَا الْيَوْمُ - وَالْحَقُّ يُقَالُ - أَكْثَرُ أَيَّامِ الْمُسْلِمِينَ



خَيْبَةً وَمَرَارَةً، كَانَ مِنَ السَّهْلِ الْيَسِيرِ عَلَى الْإِمَامِ أَنْ
بِأَمْرِ بِمُتَابَعَةِ الْقِتَالِ، فَيُقَاتِلُ مَعَ أَصْحَابِهِ حَتَّى يُقْتَلُوا،
إِنَّهُ ابْنُ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَلَيْسَ هُوَ بِالَّذِي يَخْشَى
الْمَوْتَ، لَكِنَّهُ كَانَ يُدْرِكُ جَيِّدًا أَنَّهُ لَنْ يُقْتَلَ حَتَّى يَتَقَدَّمَ
أَهْلُهُ جَمِيعًا إِلَى الْقَتْلِ، وَأَنَّ أَهْلَهُ أَيْضًا لَنْ يُقْتَلُوا حَتَّى
يَسْبِقَهُمْ إِلَى الْمَوْتِ أَنْصَارُهُمْ، دُونَ أَنْ تَكُونَ بِقَتْلِهِمْ
الْفَائِدَةُ الْمَرْجُوءَةُ فِي تَوْعِيَةِ الْمُسْلِمِينَ، لِأَنَّ حَقِيقَةَ
الْخِلَافِ بَيْنَ الْحَسَنِ وَمُعَاوِيَةَ كَانَتْ مَا تَزَالُ خَافِيَةً عَلَى
الكَثِيرِينَ؛ وَهَذَا هُوَ عَيْنُ مَا كَانَ مُعَاوِيَةُ يُرِيدُهُ وَيَتَمَنَّاهُ،
كَانَ طِيلَةَ حُكْمِهِ فِي الشَّامِ يَدَّعِي وَيُوهِمُ النَّاسَ بِأَنَّهُ
حَامِي حِمِّي الْإِسْلَامِ، وَكَانَ النَّاسُ يُصَدِّقُونَ ذَلِكَ،
لَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا قَدْ كَشَفُوا بَعْدُ خِيَانَتَهُ لِلْإِسْلَامِ
وَالْمُسْلِمِينَ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا يَرْمِي إِلَى تَأْمِينِ مَصَالِحِهِ
وَمَصَالِحِ عَائِلَتِهِ، مُتَوَسِّلًا بِحِمَايَتِهِ لِلْإِسْلَامِ فِي سَبِيلِ
ذَلِكَ. هَذِهِ هِيَ حَقِيقَةُ الْخِلَافِ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ، فَإِذَا قُتِلَ
الْحَسَنُ الْيَوْمَ فَلَنْ يَعْرِفَ النَّاسُ الْحَقِيقَةَ.

وَهَكَذَا.. وَفِي أَكْثَرِ أَيَّامِ الْمُسْلِمِينَ ظُلَامًا، وَحَيْثُ
لَمْ تَكُنْ - حَتَّى دِمَاءُ الشَّهْدَاءِ - لِتُجَدِّي نَفْعًا فِي
إِقَاطِ الْأُمَّةِ مِنْ سُبَاتِهَا، قَبْلَ الْإِمَامِ الْحَسَنِ (ع)
الصُّلَحِ، وَأَعْطَى فُرْصَةً لِيَوْمٍ آخَرَ سَيَأْتِي.. يَوْمِ

سَيَكْتَشِفُ النَّاسُ فِيهِ حَقِيقَةَ مُعَاوِيَةَ، وَحَقِيقَةَ الْخِلَافِ،
فِيهِبُوا عَنْهَا لِلْقِتَالِ وَلِلشَّهَادَةِ، بَعْدَ أَنْ يَكُونُوا قَدْ عَرَفُوا
الْحَقِيقَةَ..

قَبْلَ الْإِمَامِ الصُّلَحِ بَعْدَ أَنْ أَخَذَ مِنْ مُعَاوِيَةَ عَهْدًا
اعْتَرَفَ فِيهِ هَذَا بِكَثِيرٍ مِنَ الْحَقَائِقِ الَّتِي كَانَتْ سَبَبًا فِي
وَعْيِ النَّاسِ وَإِدْرَاكِهِمْ، وَهَذَا مَا كَانَ يَرْمِي إِلَيْهِ
الْحَسَنُ (ع)، وَقَدْ تَعَهَّدَ مُعَاوِيَةُ بِالْأَلَّا يُعَيِّنَ وَلِيًّا لِعَهْدِهِ،
فَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْ حَقِّهِ، وَأَنْ يَدَعَ الشَّيْعَةَ وَشَأْنَهُمْ فَلَا
يَتَعَرَّضَ لَهُمْ بِقِتْلٍ أَوْ أَذِيَّةٍ، وَأَنْ يَمْنَعَ أَعْوَانَهُ مِنْ شَتْمِ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (ع)، وَأَنْ يَدْفَعَ لِلْحَسَنِ الْخَرَاجَ الَّذِي هُوَ
حَقٌّ لَهُ، وَأُمُورَ غَيْرِهَا.. تَمَّ الْإِتِّفَاقُ وَالتَّوْقِيعُ عَلَيْهَا،
وَتَوَقَّفَ الْقِتَالُ، وَعَادَ الْإِمَامُ وَأَهْلُهُ وَأَصْحَابُهُ إِلَى
الْكُوفَةِ.

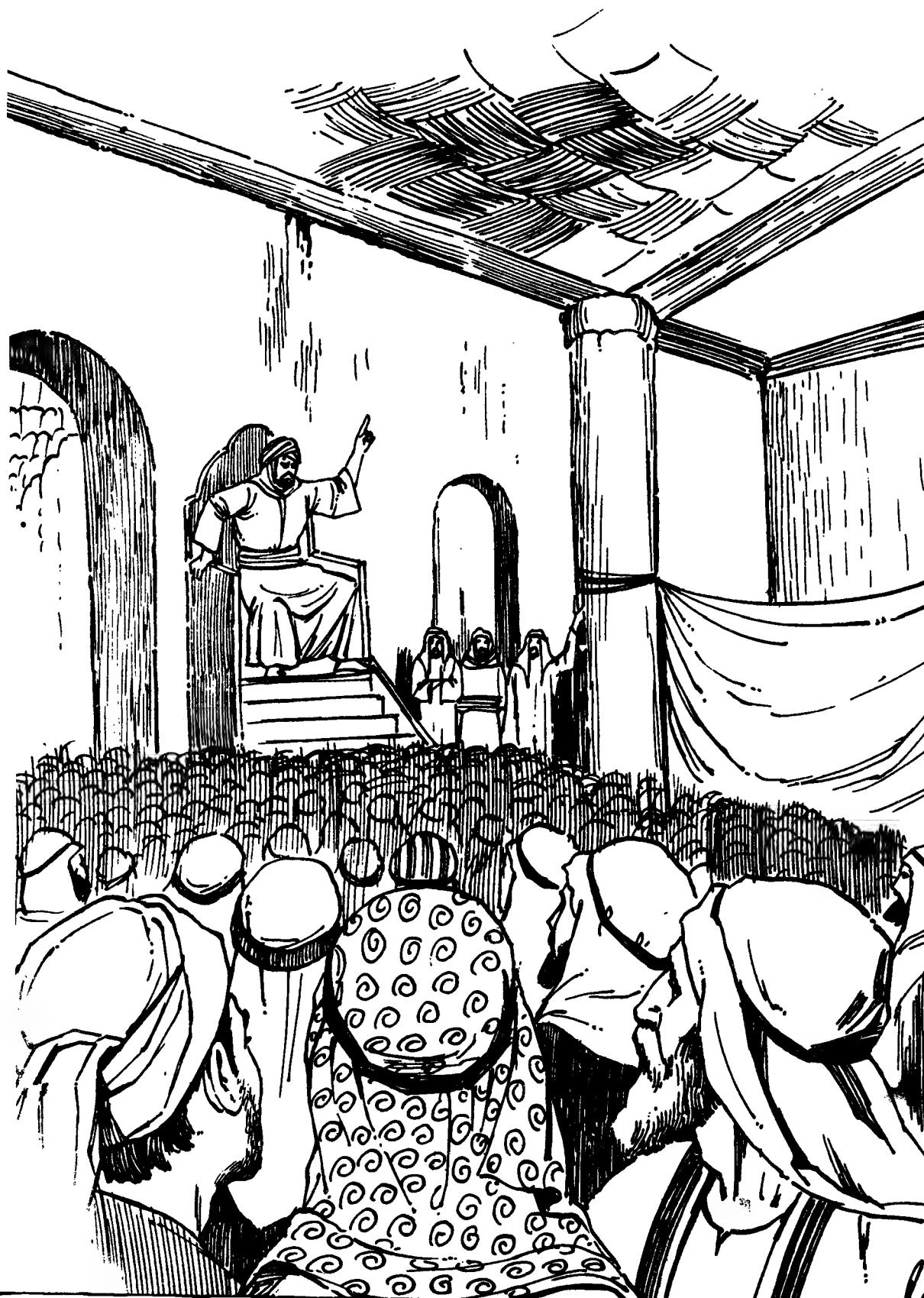
أَحْسَ أَصْحَابُ الْحَسَنِ (ع) بِالْخِيَةِ وَالْخِذْلَانِ،
حَتَّى تَمْنَى بَعْضُهُمْ أَنْ لَوْ تَخَطَّفَهُ الْمَوْتُ وَلَمْ يَرَ هَذَا
الْيَوْمَ، وَاحْتَجَّ الْكَثِيرُونَ عَلَى قَبُولِ الْإِمَامِ بِالصُّلَحِ،
وَصَدَرَتْ عَنْ بَعْضِهِمْ أَقْوَالٌ غَيْرُ لَائِقَةٍ، أَمَّا
الْحُسَيْنُ (ع) فَقَدْ كَانَ الْوَحِيدَ الَّذِي تَقَبَّلَ هَذَا الصُّلَحَ
وَلَمْ يَتَعَرَّضْ عَلَيْهِ قَطُّ، مُسَلِّمًا بِحُكْمِ أَخِيهِ

الإمام (ع)، وَرَاضِيًا بِصَوَابِ تَصَرُّفِهِ.

الحقيقةُ أَنَّ الكثرينَ لم يلتفتوا إلى أمرِ هامٍّ، وهو أَنَّ مُعَارَضَتَهُمُ لِلإمامِ هِيَ فِي حُكْمِ مُعَارَضَتِهِمُ لِلقرآنِ الكريمِ، الَّذِي يُعَرِّفُنَا بِعَصْمَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَأَنَّ مَا يُقَرَّرُونَهُ مِنْ صَلَاحٍ أَوْ حَرْبٍ أَوْ أَمْرٍ أَوْ نَهْيٍ، فَهُوَ أُمُورٌ مُبْرَمَةٌ مُقَدَّسَةٌ. وَأَنَّ اعْتِرَاضَهُمْ هُوَ رَدٌّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ إِذْ يَقُولُ: الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ إِمَامَانِ إِنْ قَامَا وَإِنْ قَعَدَا». لَكِنَّ النَّاسَ يَتَسَرَّعُونَ بِالْحُكْمِ دُونَ رَوِيَّةٍ أَوْ تَفَكِيرٍ.

تَوَجَّهَ مُعَاوِيَةُ بَعْدَ ظَفَرِهِ نَحْوَ الْكُوفَةِ، بِمَعْقِلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَصْحَابِهِ، وَهُنَاكَ وَقَفَ عَلَى مَنبَرٍ مَسْجِدِهَا الْكَبِيرِ، يَمَلَأُ الْغُرُورُ أَعْطَافَهُ، وَشَرَعَ يَتَنَاوَلُ أَصْحَابَ عَلِيٍّ (ع) بِكَلَامٍ بَذِيءٍ غَيْرِ لَاقٍ، ثُمَّ تَنَاوَلَ بِتَقْرِيعِهِ رُؤَسَاءَ الْقَبَائِلِ، فَغَدَرَ بِهِمْ بَعْدَ أَنْ كَانَ قَدْ أَبْرَمَ مَعَهُمُ الْمَوَاقِيقَ، وَصَارَ يُحَدِّدُهُمْ بِالْأَسْمِ وَالْإِشَارَةِ، وَخَلَفَهُمْ فِي وَضْعٍ فَاضِحٍ ذَلِيلٍ، لَا يُحْسَدُونَ عَلَيْهِ.

وهذه هي عاقبةُ الْخِيَانَةِ عَلَى أَيِّ حَالٍ، فَالَّذِينَ أَقْدَمُوا عَلَى خِيَانَةِ الإمامِ (ع) لَمْ يَظْفَرُوا حَتَّى يَعْطِفَ بَاسٌ مِنْ مُعَاوِيَةَ.



تَوَجَّهَ الْإِمَامُ وَأَهْلُهُ بَعْدَ هَذِهِ الْأَحْدَاثِ نَحْوَ يَثْرِبَ،
 حَيْثُ اسْتَقَرُّوا هُنَاكَ، وَتَسَلَّمَ بَنُو أُمِّيَّةَ حُكْمَ الْكُوفَةِ،
 وَفِي مَكَانٍ عَلِيٍّ وَعَلَى مَنبَرِهِ حَلَّ زِيَادُ بْنُ أَبِيهِ وَمَنْ بَعْدَهُ
 ابْنُهُ، وَاضْطُرَّ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَانُوا يَنْتَحِلُونَ الْأَعْدَارَ لِتَبْرِيرِ
 مَوَاقِفِهِمْ مِنْ حُكْمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ (ع)، وَرَفَضُوا
 قَبُولَ حُكْمِ الْعَدْلِ وَالتَّقْوَى مِنْ ابْنِهِ بَعْدَهُ، اضْطَرُّوا
 لِأَنَّهُ يَحْنُوا هَامَاتِهِمْ تَحْتَ سَيْفٍ مَلَطَّخَةٍ بِالْدِّمَاءِ،
 وَعَرَفُوا - وَلَكِنْ مَتَأَخَّرِينَ - قَدْرَ النَّصَائِحِ الَّتِي رَفَضُوهَا،
 كَمَا عَرَفُوا أَيَّ بَلَاءٍ جَلَبَوْهُ لَأَنْفُسِهِمْ، وَنَدِمُوا عَلَى مَا
 قَدَّمْتُهُ أَيْدِيهِمْ، لَكِنَّ النَّدَمَ الْمَتَأَخِّرَ لَا خَيْرَ فِيهِ.

كَانَ أُولَئِكَ الْمُنْحَرِفُونَ يُعْلِنُونَ الْعِصْيَانَ بِاسْتِمْرَارٍ،
 وَلِأَسْبَابٍ وَأَعْدَارٍ وَاهِيَةٍ، طِيلَةَ خَمْسِ سَنَوَاتٍ مِنْ
 حُكْمِ الْإِمَامِ عَلِيٍّ (ع)، وَبِضْعَةِ شُهُورٍ مِنْ حُكْمِ ابْنِهِ
 الْحُسَيْنِ. لَكِنَّهُمْ الْآنَ قَعَدُوا يَلْعَقُونَ جِرَاحَهُمْ، وَتَرَكَوْا
 لِمَعَاوِيَةَ الْجَبَلِ عَلَى غَارِبِهِ، يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، دُونَ أَنْ
 يُزْعِجُوهُ بِحَرْفٍ أَوْ يَعْتَزُّوهُ بِكَلِمَةٍ، فَلَا طَلْحَةَ وَلَا زُبَيْرَ
 بَيْنَهُمْ يَرْفَعَانِ لَوَاءَ التَّمَرُّدِ وَالْعِصْيَانِ، وَلَا خَوَارِجَ
 يُثِيرُونَهَا فِتْنَةً هَوَجَاءَ عَمِيَاءَ، أَمَّا الْمُنَافِقُونَ فَحَدَّثَ عَنْهُمْ
 وَلَا خَرَجَ.

في تلك الفترة السوداء الكالحة من التاريخ ، كان أصحاب علي فقط ، هم الذين تصدّوا وحدهم لحكم الطغيان ، وقدموا أرواحهم في هذا السبيل ، أمّا الأجراء أصحاب الجعالات ، فقد زحفوا على وجوههم وبطونهم ، ينثرون المديح للحكام دون أن ينسوا علياً عليه السلام من سبابهم وشتائمهم ، والكلام الذي لا يصدر إلا عن أمثالهم .

كم هو يسيراً أن يقف المؤمنون في وجه جبابرة التاريخ ، غير أن الوقوف في وجه «معبود» أجمع الكثيرون على «عبادته» فأمر فوق الطاقة!!

نقض العهد

وأخيراً . . . وحين أدرك معاوية اقتراب أجله ، خشي أن تنتقل الخلافة بعده إلى الحسن ، فتضيع جهوده التي أفنى عمره في سبيلها ، ويعود أهل البيت إلى حقهم ، وهنا الطامة الكبرى ، فعزم على دس السم للإمام الحسن (ع) ، ونفذ ما عزم عليه ، وقضى على الإمام مسموماً بيد زوجته ، متكرراً لكل عهد أبرمه أو ميثاق أقسم عليه ، وغمر الفرخ باستشهاد الإمام قلب مروان عدو الله وعدو نبيه ، وقلوب كثيرين غيره ، فلم

يَخْلُوا مِنْ رَشْقِ تَابُوتِهِ بِبَالِهِمْ عِنْدَ تَشْيِيعِهِ عَلَيْهِ
السَّلَامُ.

انصرف معاوية بعد ذلك إلى إكمال خطته، فأخذ
البيعة لابنه يزيد شارب الخمر، من أهل الشام أولاً،
ثم من أهل مكة والمدينة، فضمن بذلك استمرار
حكم بني أمية، دون أن يجد من آل طلحة والزبير
من يرفع في وجهه راية «الجهاد».

ألا ما أشبه اليوم بالأمس، فقد حال الناس دون
الإمام وحقه اليوم، كما فعلوا مع أبيه بالأمس.
وقطفوا - في الحالتين - ثمار عملهم ذلاً وخذلاناً. لقد
بذل الحسن (ع) جهده في إرشادهم وتوعيتهم، لكنه
كان يعي حقيقة قوله تعالى مخاطباً رسوله الكريم:
﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ،
وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾. كان يعلم أن للرسول مهمة
يؤديها، وهي إبلاغ رسالة ربه إلى الناس، أحبوا أن
يؤمنوا بها أم لم يحبوا، وكذلك فللإمام مهمته أيضاً،
وهي أن يرعى استمرار سيرة الرسول،
ويحفظ الإسلام ويصونه بما يراه مناسباً، وهذا ما فعله
عليه السلام، فقد سلك سبيلاً كشف للناس ما كان



خَافِيَا عَلَيْهِمْ مِنْ حَقَائِقَ، وَبَيَّنَ لِلْجَمِيعِ أَنَّ الْخَطَرَ عَلَى
 الْإِسْلَامِ يَكْمُنُ فِي انْخِدَاعِ النَّاسِ بِالْمَظَاهِرِ الْكَاذِبَةِ
 لِلْحُكَّامِ وَالْقَادَةِ، الَّذِينَ يَتَظَاهَرُونَ بِالْإِسْلَامِ، وَيُبْطِنُونَ
 غَيْرَ مَا يُبْدُونَ، وَعَلَّمَهُمْ أَنَّ صَوْنَ الْإِسْلَامِ وَصَوْنَ
 وَحْدَةِ الْمُسْلِمِينَ أَمْرٌ يَقْتَضِي مِنْهُمْ الصَّبْرَ الْجَمِيلَ، كَمَا
 صَبَرَ هُوَ كَثِيرًا عَلَى هَضْمِ حَقِّهِ، وَصَبَرَ عَلَى ظُلْمِ
 بَعْضِ أَصْحَابِهِ لَهُ حِينَ خَاطَبُوهُ بِقَوْلِهِمْ: يَا مُذِلَّ
 الْمُؤْمِنِينَ!! لَقَدْ صَبَرَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ صَبْرَهُ إِنَّمَا هُوَ فِي
 سَبِيلِ اللَّهِ وَعِزَّةِ الْمُسْلِمِينَ، فَلَا ضَيْرَ فِيهِ طَالَمَا أَنَّهُ
 يَغْرُسُ بُدُورَ الثَّوْرَةِ عَلَى الظُّلْمِ، ثَوْرَةَ أَخِيهِ الْحُسَيْنِ،
 لَقَدْ كَانَ عَهْدُهُ وَصُلْحُهُ جُزْءًا مِنْ ثَوْرَةِ الْحُسَيْنِ، وَحَقٌّ
 فِيهِ وَفِي أَخِيهِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ قَوْلُ جَدِّهِمَا الرَّسُولِ
 الْأَمِينِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ:

«الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ إِمَامَانِ إِنْ قَامَا وَإِنْ قَعَدَا»